

«رمضان» شهر الرحمة والغفران



قال تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) (البقرة / 185).

لشهر رمضان المبارك قدسية خاصة بين شهور السنة الهجرية لدى المسلمين لأنَّه (شهر الله)، فقد كرَّم الله سبحانه هذا الشهر، فاعتبره شهر الرحمة والغفران ينقطع العبد فيه إلى خالقه في صياحه ومسائه وقد فتحت له أبواب المناجاة والابتهال، لطفاً منه عزَّ وجلَّ ليعيد صياغة نفسه في ضوء رحمة الله التي لا حد لها إذ هو القائل: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (غافر / 60)، وهو الغفور الرحيم.

كما يمكن أن نطلق على هذا الشهر "شهر الإنسان" لعلاقته بالإنسان مباشرة، فهو:

أولاً: في عبادته ضمن هذا الشهر الفضيل وأهمية أيامه ولياليه، وانقطاعه إلى الله سبحانه يمكن أن يبني وجوده وشخصيته كما يريده خالقه كمسلم يمثل أوامر خالقه، وينتهي عن نواهيه وبذلك يكون قد كسب موقفاً سليماً يقرُّ به إلى الله تعالى.

ثانياً: إنَّ الإنسان في حالة توفيقه لصيام هذا الشهر الفضيل يكون قد عالج جسده من تراكمات الأكل طيلة الأشهر الماضية، وأراح معدته من مضار الشحوم والمواد البطيئة الهضم والمسببة للأمراض الخطيرة التي تكون نتيجة الإسراف الخارق بالمأكولات والمشروبات مما يخل بجسم الإنسان.

ثالثاً: إنَّ الالتزام بمستحبات هذا الشهر تؤكد على التواصل بين الأقرباء والأصدقاء والأحبة وبما يشد أواصر الأخوة بين المسلمين، وتؤدي إلى توادهم وتحابهم، وهذا في حد ذاته مكسب اجتماعي مهم، يدعو له الإسلام كما جاء في حديث الإمام الصادق (ع) لأصحابه: "اتقوا الله، وكونوا أخوة بررة متحابين في الله متواصلين متراحمين، تزاوروا وتلاقوا، وتذاكروا أمرنا وأحيوه".

إذاً شهر رمضان هو المورد لتحقيق كل هذه المتطلبات الدينية والإنسانية والأخلاقية وهي قيم إسلامية تحمل في طياتها الجوانب التربوية من أجل الكمال الإنساني، فالإنسان بحاجة إلى الاستفادة من

المعايير الإسلامية التي ترمي إلى إبراز أفراد المجتمع الإسلامي بما يسعده في إطار إنسانيته وتنميتها.

إنَّ إِبْرَاهِيمَ سُبْحَانَهُ حين فرض أمراً على عباده فهو لصالحه قبل كل شيء، وحاشا له أن يفرض على عباده أمراً ما لا طاقة لهم على تنفيذه، وليس من الضروري أن تعرف تلك المصلحة فهي من اختصاصات الخالق، ولكن الذي نهدي إليه هو العامل التربوي فالملكات الحميدة لدى الإنسان والتي أودعها إِبْرَاهِيمُ سُبْحَانَهُ في النفس البشرية تتنازعها عوامل الخير والشر، والحق والباطل، ومن أجل تنمية جانب الحق والخير لابد للإنسان من القيام بأعمال وتوجيهات توفر له الاستعدادات للتأهيل النفسي للحصول على تلك الملكات المانعة من تسرب الشر إلى ذهن الفرد الذي يعيش مغريات هذه الحياة المرهقة المفعمة بالإغراء، والتي تدفعه للانزلاق في مهاوي الجهل والانحراف، وقد قال إِبْرَاهِيمُ سُبْحَانَهُ: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) (الزلزلة/ 7-8)، إذاً فالملكة موجودة لدى الإنسان ويمكن من تنميتها وتفعيلها وتطويرها إلى أي جانب يشاء إلى الحق أو الباطل، أو الخير أو الشر.

وإِبْرَاهِيمُ سُبْحَانَهُ فرض شهر رمضان على المسلمين وعلى غير المسلمين قبلًا من أجل انقاذ البشر من مهاوي الضلال، ولتعميق ارتباط الإنسان بخالقه يقتضي السير على ما خطط له ربه، وتحقيق ذلك مرهون بعمله في الدنيا، والوقائع الخارجية هي التي تحدد مساره الدنيوي بعد أن وضعا له بكل جزئياتها من باب اللطف مع العباد، فالعقاب قبيح على الفرد أو الأمة إذا لم توضح لهما تلك المهام (إِنَّ اللَّهَ هَدَى النَّبِيَّ الْكَافِرَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (البقرة/ 129).

وبالحقيقة إنَّ شهر رمضان يوفر الأجواء للمسلم لتحلى خلاله بجهد النفس، فليس الصيام عن الأكل والشرب هو كل شيء، بل لابد أن تصوم كل جوارحه عما لا يرضي إِبْرَاهِيمَ سُبْحَانَهُ، وهو ما يطلق عليه النبي العظيم (ص) بـ"الجهد الأكبر".

ومن هنا فإننا نستطيع أن نطلق على هذا الشهر الفضيل بـ"شهر الإنسان" بمعنى أن يظهر الفرد نفسه من أدران الدنيا الفانية، ويبعدها من أوضارها، ويطيعها على ما يرضي إِبْرَاهِيمَ سُبْحَانَهُ، ويرفض عما يدنسها من الأخطار فالنفس أمارة بالسوء، وإِبْرَاهِيمُ سُبْحَانَهُ من وراء القصد.